

تيرانت لو بلانك: رواية فروسية من العصور الوسطى

الدكتور هاني العريان

جامعة لقنت (اليكانت) - إسبانيا -

1. مقدمة

ظهرت رواية الفروسية " تيرانت لو بلانك"، والتي بدأها جوانوت مارتوريل وأكملها كما يقول البعض مارتي جوان دي جالبا، في بلنسية عام 1490. وقد كتبها باللغة البلنسية / الفلنسيانية (لغة أهل بلنسية¹) التي يعتبرونها في إقليم كاتالونيا لهجة من اللغة الكتالانية وفي إقليم بلنسية يعتبرون اللغة البلنسية لغة مختلفة عن اللغة الكتالانية وهذه الغات قد اندثرت خلال حكم الجنرال فرانكو، ولكنها الآن في نمو مستمر. وقد تُرجمت هذه الرواية من لغتها الأصلية (لغة أهل بلنسية) إلى لغة أهل قشتالة (اللغة الأسبانية) ونُشرت لأول مرة باللغة الأسبانية في عام 1511². وقد احتوت الرواية في تلك الفترة على عبارات جنسية صريحة وقد فاقت شهرة هذه الرواية كتاباً آخر تحت عنوان " أماديس دي جولا"³، بل وأكثر حتى

¹ بلنسية أو كما تتطق (فالنسيا) وهي مقاطعة تضم ثلاث محافظات (أليكانتي أو لقنت، بلنسية، كستيون) تقع في شرق أسبانيا على البحر المتوسط. ومدينة بلنسية هي أكبر مدنها، عُرفت باسم بلنسية أيام الحكم الإسلامي للاندلس وسميت حمص لنزول جند حمص والشام فيها. وقد قال فيها ابن الزقاق البلنسي: "بلنسية إذا فُكِّرَتْ فيها وفي آياتها أُنشئ البلاد واعظم شاهدي منها عليها بأنَّ جمالها للعين باد كساها ربنا ديباج حسن له علمان من بحر وواد"

² Vicent Martines, "Tirant Lo Blanh plurilingüe. De la traducció com a eina per estudiar millor els originals i escapar-ne el coneixement" *Tirant Lo Blanh poliglota*, Gandia: Editorial Marfil, 2011.

³ (أماديس دي جولا أو أماديس غول) هي قصة فروسية شهيرة تم تأليفها أولاً في إسبانيا، وتعتمد على مصادر فرنسية. ويقال إن القصة كانت موجودة في أواخر القرن الثالث عشر أو أوائل القرن الرابع عشر. كانت تتكون من ثلاثة كتب. قام غارسي رودريغز دي مونتالفو، حاكم مدينا ديل كامبو، بإعادة عمل هذا الإصدار، وأضاف كتاباً رابعاً، وتابع

مجلة أنثروبولوجية الأديان العدد الواحد والعشرون 21 أبريل 2018

بعد مرور مائة سنة من ظهور رواية " دون كيشوت ". كان الروائي العظيم ميغيل دي سيرفانتس من أوائل الذين قرءوا وأعجبهم أعمال جوانوت مارتوريل. ففي رواية "دون كيشوت" يقول القسيس بحماسة شديدة عندما كانوا يحرقون كتب الفروسية - التي تسببت في فقدان عقل دون كيشوت - ووجدوا بينها رواية "تيرانت لو بلانك":

" صرخ القسيس: يا لله! أهذا " تيرانت لو بلانك " أعطني إياه يا صديقي، أعترفُ أنني وجدت فيه كنزاً من السرور، ومنجماً من إزجاء الفراغ. هنا يوجد كيريليزون دي مونوتالبان وأخوه توماس دي مونوتالبان والفرس فونسيكا في المعركة التي خاضها الشجاع تيرانت مع الكلب الضخم المخيف، ونوادير الوصيفة بلاثيرديمبيدا، وغراميات الأرملة ربوسادا وأكاذيبها، والسيدة الإمبراطورة وعشقها لخادمها. أقول لكم الحق، أيها الصديق، إنه بفضل أسلوبه يعتبر أفضل كتاب في العالم، فيه يأكل الفرسان وينامون في بيوتهم، ويكتبون وصية قبل أن يموتوا، مع أشياء أخرى تنقص كل الكتب التي من نوعه. مع هذا، أقول لكم إن جدارة مؤلفه في أنه لم يصنع صبيانيات كثيرة في حيله، تلقي به في السجن كل أيام حياته. أحمله إلى البيت واقراه، وسترى كم هو حقيقي كل ما قلته"⁴.

ورغم هذا الاستحسان " فإن رواية " تيرانت لو بلانك " عانت من إهمال طويل استمر لقرون عديدة. ولكن في القرن العشرين رجعت رواية تيرانت للانتشار من جديد. واليوم فقد ظهرت أجيالاً من القراء والنقاد يميزون العمل باعتباره عملاً فريداً في الفكاهة والدقة النفسية في عصرها وجنسها. وإضافة لكل ذلك ربما تعتبر حادثة هذه الرواية في القرن الخامس عشر

العمل في كتاب خامس تحت عنوان *مغامرات اسبلانديان*. وبقي العمل شائعاً أثناء العصر الذهبي الإسباني في كلٍّ من أوروبا وأمريكا.

⁴ أنظر ترجمات، عبد الرحمن بدوي - ثريانتس دون كيخوته - دار المدى للثقافة والنشر - دمشق 1998 ص 72؛ سليمان العطار - الشريف العبقري دون كيخوتي دي لمانشا، الشهير بين العرب باسم دون كيشوت - المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة 2002 ص 62.

مجلة أنثروبولوجية الأديان العدد الواحد والعشرون 21 أبريل 2018

والتي أذهلت وأسرت القراء المعاصرين. فالروائي "ماريو بارغاس يوسا" الحاصل على جائزة نوبل في الأدب عام 2010 يشبه رواية مارتوريل بروايات قريبة منها " لفوكنر وجويس وتولوستوي وكتاب آخرين أبدعوا في عالمهم الخيالي⁵. وقد ذكر أيضاً داماسو الونسو " لقد قرأتُ " تيرانت " أول مرة في طبعة فاخرة لمارتي دي ريكير وقد أذهلتني. إذ يبدو هذا العمل من العصور الوسطى في تركيبه الفني والهيكل، ولكن عندما تراه من نقاط معينة وزاوية أخرى تجده مفعماً بالحياة أشبه بنشوة نتجت من خمر صافية رائعة، والجانب الفني في الكتاب يذهلنا بجدائته في أيامنا هذه، إنه لفن حاضر البديهة في القرن العشرين"⁶. ولكن بعد أكثر من خمسمائة سنة بدأ العالم ينتبه "لتيرانت لو بلانك"، إذ يمكن القول بأنها أول رواية عصرية في كل الآداب.

منذ ما يزيد على الخمسمائة سنة وبعد طباعة رواية " تيرانت لو بلانك " ظلت الرواية لغزاً شديداً فبال تأكيد تعتبر عملاً فنياً رائعاً. لقد صنفها الناقد والكاتب الأسباني إنريك دي ريكير كواحدة من كتب الفروسية والرومانسية المبكرة، ولكن أية محاولة لتشبيهها بالرواية المعاصرة يجب أن يواجهها اعتراض: ومهما يكن من أمر فإن " تيرانت " عملٌ أدبيٌّ من نهاية العصور الوسطى والتي تبدو صعوبة تحديد وحدة الفكرة والغاية من تأليفها.

وبالتأكيد فإن الحبكة الروائية لها: فهي قصة لفارس خيالي " بريطاني ينحدر من أصول الملك آرثر " ويعتبر أعظم نجاح له هو إنقاذ القسطنطينية من تهديدات الأتراك. ثم بعد المشاهد الأولية والتي تأخذنا من القصر البريطاني، يتركز العمل على منطقة البحر المتوسط. يبدو تيرانت الآن وهو قائد شهير يشارك في الحملة الفرنسية على جزيرة رودس ويصبح قائداً عاماً

⁵ Mario Vargas Llosa, "Carta de batalla por Tirant lo Blanc." *Rev. Occidente* 70 (1969): 1- 21.

⁶ Dámaso Alonso, "Tirant lo Blanch, novela moderna." *Rev. Valenciana de Filología* I (1951): 179-215.

مجلة أنثروبولوجية الأديان العدد الواحد والعشرون 21 أبريل 2018

في الجيوش البيزنطية، ثم بعد سلسلة من المغامرات في شمال أفريقيا يعود إلى القسطنطينية ويتزوج ابنة الإمبراطور، كارميسينا. ولكي نُلخص الكتاب بهذه الطريقة، فإننا نستبعد تفاصيل كثيرة لأحداث مهمة: علاقة وتودد تيرانت الطويل مع كارميسينا وما تلاها من نكسات والتقارب المفاجئ لجوانب الغواية والروحانية والطريقة الهزلية المستخدمة بشكل متواصل لتخيب توقعات القراء. إضافة لذلك، يتضح بأن عادات وتقاليد القصر البيزنطي هي انعكاس دقيق لمملكة بلنسية، ومن بين أكثر السمات المثيرة للدهشة من هذا المجتمع الذي يصوره الكاتب هو شعائره في الحب والتي تؤثر في كل شيء بدءاً من العلاقات الشخصية إلى البروتوكول التفصيلي المحيط بأكثر السلوكيات وحشيةً. والعامل المشترك في كل هذا هو اللغة: فالشخصيات في روايه "تيرانت" تجدد السعادة البالغة في تأليف عبارات تمثل تحدياً لبقاً وأنيقاً، مثال تأخير متعهم الجنسية مع الحديث الرقيق. ونجد أن الشعائر مرتبطة بالإستراتيجية: ليس فقط في تفاصيل خطط هزيمة جيش العدو في الحرب ولكن أيضاً في السيطرة الواضحة على الآخر.

يجب أن نشير أن رواية "تيرانت" تحتوي على بعض الغموض، فهي تعمل على المستوى الخارجي والداخلي. فمن الناحية الخارجية نتساءل عن علاقتها بالحقيقة المعلومة:

بدأ مارتوريل في تأليف كتابه في حوالي سنة 1460 وبعد نحو سبع سنوات من سقوط القسطنطينية في أيدي المسلمين الأتراك، ولكنه لم يذكر شيئاً عن ذلك، فهل يحاول بذلك أن يعيد كتابة التاريخ من خلال وضع أحداثٍ حقيقية بطريقة عكسية؟ ثم ما هو موقفه من الفروسية ذاتها؟ هل كان يعتبرها صالحةً ومقبولةً أو رغم إعجابه بقيم الفروسية هل كان يُسلم بأنها أصبحت شيئاً من الماضي؟ والأكثر تحديداً هل كان يحاول إعادة صياغة العالم في صورة خيالية ليستعرض الحقيقة الخيالية للفروسية بالنسبة للمجتمع والتي أصبحت قيمه تدريجياً أقل أرسطراطية؟

مجلة أنثروبولوجية الأويان العرو الواحد والعشرون 21 أبريل 2018

كثير من جوانب الغموض الداخلي في رواية "تيرانت" لها تأثير على موضوعية السرد القصصي. ومن الصعب التفكير في عمل آخر قبل القرن السادس عشر والذي نجد فيه أن توجيه المؤلف غائبا بشكل واضح أو أن العمل خالٍ من أي تعليق أخلاقي.

لقد لاحظ سالفادور دي مادرياجا أن كتب الفروسية كانت واسعة الانتشار في كل أوروبا الغربية، وليس في إسبانيا وحدها⁷. وذكر ثلاث حقائق ينبغي أن نحتسبها:

الأولى: أن كل الناس كانوا يقرءون كتب الفروسية، وأنه خلال المائة عام التي تلت نشر قصة "أماديس دي جولا" ظهر حوالي خمسين قصة شعبية في إسبانيا والبرتغال، وكانت تطبع بمعدل قصة كل عام بين سنة 1508 وسنة 1550.

الحقيقة الثانية: أن أصحاب الامتياز العقلي في أوروبا أعلنوا استنكارهم لكتب الفروسية وقاموا بحملة عليها، تصدر الحملة في إسبانيا لويس فيفيس، وفي فرنسا مونتاني، وفي ألمانيا يوستوس ليسيوس، وفي إيطاليا هاجمها جيرولمو موتسيو.

والحقيقة الثالثة: هي أن كتب الفروسية قد شجعها أمراء وملوك، وبعض رجال الدين القلائل؛ في مقدمة روايتنا "تيرانت لو بلانك" نجد الكاتب يوجه الإهداء إلى الأمير المجيد فردناندو أمير البرتغال. وفردناندو كان ولي العهد. ونعلم أن فرانسوا الأول، ولويس الرابع عشر، ووليم الصامت كانوا مولعين بروايات الفروسية. وكذلك القديسة تريزة الأبلية كانت تحب قراءتها في شبابه.

⁷ Salvador de Madariaga: Don Quixote: an introductory essay in Psychology. Oxford, 1948, p. 31.

2. جوانوت مارتوريل

حتى مطلع القرن الحالي لم يعرف أحد شيئاً عن جوان (جوانوت) مارتوريل إلا اسمه فقط والذي تكرر في موضعين في تيرانت لو بلانك " خطاب الإهداء وبيان النسخ. وقد نشر خوسي أنتونيو فيث في دراسة أجراها عام 1918 أن المؤلف الأساسي قد يكون راهباً أو كاهناً، عضواً في النظام العسكري أو ربما كاتب عدل. وقد اقتصر هذا العالم في حديثه على ما يمكن أن يستخلصه من هذا العمل ذاته، " وللأسف فإننا لا نعلم شيئاً عن كل ما كان يهمه (مارتوريل) عن أي مصدر آخر"⁸ ولقد تغير الموقف كثيراً والفضل يرجع إلى بعض رسائل التحدي أو المواجهة والتي اكتشفها أندريس ايفارس، أول من أخرجها للنور في عام 1929⁹. ولم تفسر هذه الرسائل الهدف الغريب لرحلة مارتوريل إلى إنجلترا وهي رحلة جمع فيها عدداً من سيرته الذاتية ولكنه قدمها في صورة أدبية لحياة المؤلف وعصره.¹⁰

وعموماً فإن مارتوريل قد وُلِدَ في الغالب في جانديدا، وهي مدينة ساحلية قريبة من بلنسية بين عامي 1413 - 1414. وهو ينحدر من عائلة نبيلة في بلنسية، جده كان مستشاراً لمارتن الأول ملك أراجون (1395-1410) ووالده فرانسيسكو مارتوريل، حاجب ملكي. وقد نشأ جوانوت فرداً عادياً في طبقة أرستقراطية من بلنسية، وكانت هذه المدينة في القرن الخامس عشر مركزاً تجارياً مزدهراً ومركزاً أدبياً نشطاً. كما كان أيضاً مرتعاً للخلافات والمعارك الأرستقراطية والتي كان يتباهى فيها النبلاء في وضعها بين أيدي كُتّاب العدل أو محامين

⁸ José A. Vaeth, *Tirant lo Blanc: Un estudio de su autoría, las fuentes principales y Marco* 160Histórico (Nueva York: 1918).

⁹ Andrés Ivars "Estage de Joanot Martorell en Londres (1438-1439)" en (Anales del Centro de Cultura Valenciana, II, 1929), pp. 54-62.

¹⁰ Martí de Riquer, Joanot Martorell, Martí Joan de Galba, *Tirant lo Blanc*, Barcelona: Selecta, 1947; 1979.

رسائل جمعها مارتري دي ريكير، تم تحليلها في مقدمات في طبعاته "لتيرانت لو بلانك" لعام 1947 و 1979.

مجلة أنثروبولوجية الأويان العرو والواحد والعشرون 21 أبريل 2018

قانونيين. والنتيجة المتكررة هي سلسلة من التحديات الشرسة والهجمات المضادة والتي كان يتم تدوينها وإعلانها في أماكن عامة والتي كانت تبلغ ذروتها في المبارزة أو أشكال أخرى من صراع الفروسية كل هذه التحديات كانت تتم تحت قانونية حاكمة لمثل تلك الأمور وتقاليده الفروسية.

وخطابات التحدي التي تخص مارتوريل والتي تظهر بأنه عندما كان في سن 23 أو نحوه (12 مايو 1437) طلب التحدي وهذا التحدي هو القتال حتى النهاية (الموت أو التسليم بالهزيمة) من الفارس خوان دي مونبالو. واتهم في خطابه مونبالو بانتهاك منزله من خلال انتهاك شرف دامياتا، الشقيقة الصغرى للمؤلف وتراجعته عن وعده بالزواج منها. وقد تحول الاتهام بالإدعاء بالزواج السري " موضوع نكتشفه في رواية تيرانت ذاتها، زواج بدون احتفال رسمي يركز أساساً على تبادل عهود وتصريحات العاشقين"¹¹.

وقد تبادل مارتوريل مع مونبالو نحو ثلاث عشرة رسالة وكانت آخر رسالة من مارتوريل بتاريخ 22 مارس 1438 وموقعة في مدينة لندن. ويشرح فيها المؤلف أنه لم يشأ أن يطلب من ملكه "ملك أراجون" أن يقود معركة بين اثنين من رعاياه، ولقد سافر إلى إنجلترا ليطالب تحكيم " ملك إنجلترا وفرنسا " الملك هنري السادس (وهذه الرحلة موثقة في هذه الرسالة وتؤيد مزاعم مارتوريل في خطاب الإهداء الموجود في مقدمة الكتاب " تيرانت لو بلانك " " بأنه قضى وقتاً في إنجلترا) والأمر المدهش فعلاً هو أن هنري قد وافق على أن يحكم القتال بين اثنين من أهل بلنسية وينتمون إلى مملكة أراجون. والملك لانكستريان، في خطاب أرسله

¹¹ Justina Ruiz de Conde, *El amor y el matrimonio secreto en los libros de caballerías*, Madrid: Aguilar, 1948, pp. 101-170.

مجلة أنثروبولوجية الأويان العدد الواحد والعشرون 21 أبريل 2018

إلى الأمير انريكي دي أراجون في العام التالي مضى إلى أبعد من ذلك في الدفاع عن مارتوريل من أي خطأ في تقديم قضيته أمام محكمة إنجلترا¹².

فثمة تخمين، كيف استطاع مارتوريل في أن يدير الأمر ليلفت الاهتمام بهذا الشكل والثقة، لهنري السادس. فلم تكن المسألة تافهة نظراً لكونها مرتبطة بعلاقاته مع القصر الإنجليزي إذ كان من الممكن حدوث وساطة بين هنري وجوانوت وبلنسياني آخر، فينسينت كليمنت الذي كان في خدمة العائلة الملكية الإنجليزية.

مونبالو لم يرد على رسالة مارتوريل الأخيرة. ولم يجرؤ أن يذهب إلى إنجلترا ولهذا فقد اتخذ مأوى وراء قلعة ماريا (زوجة الفونسو الخامس في أراجون - المعروفة بالشبهة) وقد ساعدت ماريا في التوصل إلى حل سلمي وتحديد أن يدفع مونبالو أربعة آلاف فلوريون إلى دامتيا تعويضاً عما لحق بها من الأذى وكان ذلك عزاءً لجوانت على الرغم من أنه وجد شقيقته عائناً في سن الخامسة والأربعين.

وقد شارك المؤلف في نزاعات ومعارك مع فرسان. ومن بين تلك النزاعات مع دون جوندالبو دي هيجر قائد مجموعة سانتياجو - هنا نرى في الرواية أن مارتوريل يسخر من نفسه في الشخصية الحمقاء المتهورة كيريليسون دي مونتابا. مرةً أخرى نجد مارتوريل يُرسل خطابات التحدي (ولكن هذه المرة على مبلغ من المال كان يدعي بأنه مدين به له) وخصمه الغاضب يبحث عن مخرج ما. في هذه الحادثة، قال كاتب عدل هيجار - والذي يمثل التفويض الشرعي أو محامي دون جوندالبو - أمام حاكم بلنسية بأن عميله لا يمكنه أن يلي تحديدات مارتوريل بسبب الاختلاف الهائل وعدم المساواة " القائمة بين الفريقين " المتعلق بالأسرة والمكانة الاجتماعية وطريقة الحياة. " وأضاف قائلاً باعتباره عضواً في جماعة سانتياجو، فإن

¹² Robert B. Tate, "Joanot Martorell in England" *Est. Romanics*, 10 (1962): 277-281.

راجع روبرت بي تاتي "جوانوت مارتوريل في إنجلترا" 277-281

مجلة أنثروبولوجية الأويان العرو والواحد والعشرون 21 أبريل 2018

دي هيجار ممنوع من قبول التحدي وأن عميله في أي حال ليس مدينًا بالنقود محل القضية. وقد منع الحاكم مارتوريل من هذا التحدي ولكنه لم يمنعه من الانتقام لنفسه في الرواية من القائد والمحامين المشتغلين بالتوافه¹³. عندما قال الملك للدوق الذي قتل بعض المحامين (فصل 41) : "يا ابن عمي، لم تفعل شيئاً يسعدني أو مفيداً لي أكثر من هذا، فهؤلاء يثيرون الاعتراضات التافهة فقط لإثراء أنفسهم في حين أنهم يُدْمَرُونَ إنجلترا وشعبها ولهذا السبب فإنني أمر بأن تظل أجسامهم على هذا النحو حتى الصباح، وبعد ذلك نمزقهم أشلاءً ونلقي بها على الطرقات".

وتوفي جوانت مارتوريل في عام 1468. كان فارساً وشخصية شجاعة جريئة طوال حياته، يتنقل بسهولة بين الدوائر الخاصة بما في ذلك قصور الملوك. وكما هو مألوف في طبقته لم يعتبر نفسه قط أديباً كما أنه لم يكن في تقدير الآخرين متاجراً بالكلمات. ورغم هذا فقد كتب على نطاق واسع¹⁴ ويعد في النهاية أحد أبرز الأسماء اللامعة في عالم الأدب.

3. مارتري جوان دي جالبا

في بيانات النسخ لرواية "تيرانت لو بلانك" فإننا نعرف بأن مارتوريل توفي قبل أن يُكْمَل روايته "الجزء الرابع منها وبه ينتهي الكتاب والذي كتب بناء على طلب من ايزابييل دي ليوريس للفارس الشهير "السيد مارتري جوان دي جالبا". فنعرف عن جالبا بأنه كان من فيلنسيا وتزوج في العام 1457 وقد أعد وصيته في 27 مارس من عام 1490 وتوفي بعد

¹³ Mario Vargas Losa, *Tirant lo blanc*, Madrid: Alianza literaria, 2006, pp. 21-47.

ماريو بارغاس لوسا، تيرانت لو بلانك، مدريد 2006.

¹⁴ Martí de Riquer, "Joanot Martorell i el *Tirant lo Blanch*." En *Historia de la literatura catalana*. Esplugues: Ariel, 1965, 2: 632-671. Reeditado. 1969, 1970.

مارتري دي ريكوير "جوانت مارتوريل 1965، 2: 632-671

مجلة أنثروبولوجية الأديان العدد الواحد والعشرون 21 أبريل 2018

ذلك بشهر أو بنحو سبعة شهور قبل أن يقوم الألمان نيكولاس سبينديلر بطباعة رواية " تيرانت " .

وعلى الرغم من ادعاءات النسخ المشترك - ثلاثة أجزاء من كاتب لواحد، وجزء لآخر - فإن دور مارتي جوان دي جالبا في تنقيح العمل ظل غامضاً بشكل كبير. إلا أن بعض النقاد ذكروا أن تدخل جالبا كان في الحد الأدنى، يكاد يكون محدوداً أو لا يمكن تحديده.

على سبيل المثال قال فيث في دراسة للكتاب وقال: " لقد بذلنا جهوداً لتحديد الجزء الرابع الذي عرفنا بأن جالبا قام بترجمته، ولكن باءت جميع جهودنا بالفشل. وقد راجعنا باهتمام هجاء وكلمات وأسلوب الكتاب ككل، ولكن لم نستطع أن نستدل على أي جزء يختلف بشكل كاف عن باقي العمل لئبرر التأكيد حول إمكانية أنه يمثل الجزء الذي ترجمه دي جالبا"¹⁵. وفي أغلب الأمور فقد اقترح هذا الناقد أن جالبا قد ساهم في الفصل الأخير أو يضع وثلاثمائة كلمة.

وترى وجهات نظر أخرى أن تدخل جالبا قد كان تدريجياً¹⁶، قد بدأ في مرحلة شمال أفريقيا (الجزء السادس) وزادت نبرته في باقي العمل¹⁷. وتحتوي الفصول الأخيرة إلى حد ما على عبارات خطائية مسرفة لم توجد في الفصول الأولى، وتقوي نظرية وجود مؤلف الثاني. لقد احتفظ جالبا بمخطوطات مارتوريل الأصلية لأكثر من عشرين عاماً، ومن المحتمل أنه قام بتصحيح المخطوطات وأضاف بعض الفقرات وتحديداً التي تدافع عن الديانة المسيحية. بعض الباحثين لا يشكون في أن كلمات كارميسينا قرب جثمان تيرانت كانت من أعمال

¹⁵ José A. Vaeth, *Tirant lo Blanc*, pp. 93.

¹⁶ M^a Jesus Roviera Mata, *Tirando contra el islam*, Altea (Alicante): Ediciones Aitana, 1993.

¹⁷ Martí de Riquer, "Joanot Martorell i el *Tirant lo Blanch*.", 1970, p. 83.

ريكوير (1970): 83.

مجلة أنثروبولوجية الأديان العدد الواحد والعشرون 21 أبريل 2018

جالبا لأنها كانت مكتوبة بنثر منظوم غير مألوف في رواية مارتوريل، ولأن مارتري جوان دي جالبا كان ممن يحبون النثر المنظوم¹⁸.

4. خطاب الإهداء إلى الأمير فردناند

خطاب الإهداء لتيرانت لو بلانك (الموقع في 2 يناير 1460 وهو تاريخ افتراضي بدأ فيه مارتوريل العمل في كتابة الرواية) إنما كان موجهاً إلى "صاحب السعادة الفاضل الأمير المجيد الوارث المرتقب" فردناندو دي برتغال. — وفردناندو "هو ولي العهد" ولد في 1433 وهو الابن الثاني للملك إدواردو الأول ملك البرتغال وليونور دي أراجون. وقد توفي إدواردو في عام 1438، في ذلك الوقت انتقل التاج إلى شقيق فردناندو، الفونس الخامس. ولكن لأن الفونس لم يزد عمره على ست سنوات في ذلك الوقت، فقد أقرت محكمة لشبونة، برغبتها في أن يستقر الأمر على ما هو عليه وأن يكون الفونس الخامس ملكاً تحت الوصاية وأخوه فردناندو دي برتغال وريثاً للعرش وظل الوضع هكذا حتى عام 1451 عندما رُزق الفونس بابنه الأول¹⁹.

ويُدعى مارتوريل في خطاب الإهداء بأن "تيرانت" هي عمل انجليزي طلب فيردناندو منه أن يترجمها إلى اللغة البرتغالية. "ويقول: "إني قادر على ترجمة قصة تيرانت ليس فقط من اللغة الإنجليزية إلى اللغة البرتغالية وحسب بل من اللغة البرتغالية إلى اللغة البنسبية العامية (الكنتالنية) حتى يمكن لأهل بلدي الاستمتاع والاستفادة من الأعمال الفريدة التي تتضمنها هذه الرواية." ونفس التأكيد ورد أيضاً في بيانات النسخ التي أعدها مارتري جوان دي جالبا،

¹⁸ Sobre Galba, véase, Joan Corominas, "Sobre l' estil i manera de Martí J. de Galba i el de Joanot Martorell", Homenatge a Carles Riba. Barcelona: J. Janes, 1954: 168-184.

راجع جوان كوروميناس.

¹⁹ José A. Vaeth, *Tirant lo Blanc*, pp. 75-76.

راجع فايث: دراسة 75-76

مجلة أنثروبولوجية الأديان العدد الواحد والعشرون 21 أبريل 2018

والذي كما يقول بعض الباحثين أكمل قدراً معيناً من العمل بعد وفاة صاحب العمل الرئيسي في عام 1468. ويقول جالبا " تمت ترجمة هذا الكتاب من اللغة الانجليزية إلى اللغة البرتغالية ثم إلى اللغة العامية البنسية وقام بها الفارس العظيم والفاضل السيد جوانوت مارتوريل "

ورغم أن هناك إدعاءً بأن النسخة الأصلية لـ " تيرانت " كانت مكتوبة بالانجليزية إلا أنه لا يوجد أي دليل لوجود هذا العمل خارج صفحات كتاب مارتوريل ويمكن أن يتكرر نفس الشيء مع النسخة البرتغالية التي لم يُعرف عنها شيء . " واليوم " كما يقول مارتي دي ريكوير " لا يشك أحدٌ بأن رواية " تيرانت لو بلانك " تم تأليفها باللغة الكتالانية مباشرة.²⁰

ومن ناحية أخرى، فإن مارتوريل قد توقع أن يقرأ فيرديناندو خطاب الإهداء، فمن الصعب أن يدّعي الكاتب أنه قد طُلب منه أن يقوم بترجمتها. قد يكون صحيحاً أن فردناندو قد طلب من المؤلف أن يترجم بعض الأعمال التي قرأها مارتوريل في إنجلترا إلى اللغة البرتغالية. وفي هذا الحال النسخة الأصلية من رواية " تيرانت لو بلانك " لم تكن موجودة باللغة الانجليزية وكذلك رواية "جوي دي فوريك" وربما الأكثر احتمالاً، أن الكاتب قد وجد الترجمة الثرية إلى الفرنسية من القصة الأخيرة والتي ربما وجدها جوانوت في قصر الملك هنري السادس. وتساءل ريكوير "ربما كانت واحدة من المخطوطات الفرنسية، وربما اعتمد مارتوريل عليها في روايته²¹" ولذلك نرى أن الكاتب قد بدأ روايته بقصة جييرمو دي فورك.

²⁰ Martí de Riquer, Joanot Martorell, Martí Joan de Galba, *Tirant lo Blanc*, 1947, pp. 81.

مارتي دي ريكوير 1947، 81.

²¹ *Op, cit*, 94.

94 أنظر المرجع السابق

مجلة أنثروبولوجية الأديان العرو والواحد والعشرون 21 أبريل 2018

وعلى أي حال، فإننا نفترض بأن جوانوت قد تأثر بشكل كبير بالأسلوب السردى الذي وجده في الكتب الموجودة في قصر الملك هنري أو ربما ذكر قصة جوي (أو جييرمو، كما كان يطلق عليه) لفردناندو أثناء توقفه في البرتغال في طريق عودته من إنجلترا (في رحلته عام 1438 أو في رحلته الثانية حوالي عام 1450-1451). وربما طلب فردناندو من ماروتويل أن يقوم بترجمة مآثر جوي إلى اللغة البرتغالية، على الرغم من أن المؤلف لم يكن ماهراً في تلك اللغة إلا إنه أراد عمل " كل شيء ممكن ليُرضي الأمير.²² وربما كان يثق في شخص آخر ليقوم بتلك المهمة في تحويل روايته المكتوبة باللغة البننسية والتي كان بها جزء يتحدث عن جييرمو دي فوريك إلى لغة الأمير. وربما يكون خطاب الإهداء لهذه القصة بذاتها التي طلبها فردناندو منه.

وعلى أي حال فلا بد أن ندحض كل تلك الادعاءات من الناحية الأدبية على الأقل والموجودة في خطاب الإهداء وبيانات النسخ السابقة على ترجمات " تيرانت ".

5. الإسلام والمسلمين في "تيرانت"

لقد ترجمنا هذا العمل من اللغة الأسبانية واللغة الكتالانية وهو الآن في تحت النشر، وهي أول ترجمة لهذا النص إلى اللغة العربية، لقد حاولنا بقدر الإمكان احترام حرفية العمل الأصلي، دون إهمال ضرورة أدبية النص العربي.

يجب أن نذكر ونشير إلى سلبية "تيرانت" نحو الإسلام، وأن مترجم هذه الرواية إلى اللغة العربية لا يتفق على الإطلاق مع المؤلف في سلبيته تجاه الإسلام والمسلمين، وكان من الممكن أن يجذف المترجم كل ما هو ضد الإسلام، ولكن أمانة المترجم تجبره على ترجمة النص بلا

Op, cit, 81-82. أنظر المرجع

22
السابق 81-82.

مجلة أنثروبولوجية الأديان | العدد الواحد والعشرون 21 | أبريل 2018

تحريف أو حذف، ليعلم المسلمين مدى العداء الذي كان موجوداً بين المسلمين والمسيحيين في تلك القرون. لكن، يجب أن نعلم أن العداء بين الإسلام والمسيحية في القرن الخامس عشر، عندما كُتبت هذه الرواية كان شيئاً طبيعياً، وذلك نتيجة الحروب بين مسلمي الأندلس ومسيحيي الممالك المجاورة والتي كان ينتمي إليها مؤلف هذه الرواية، ويجب أن نتذكر كذلك الحروب بين المسلمين الأتراك والإمبراطورية البيزنطية والتي أسفرت عن وقوع القسطنطينية في أيدي الأتراك المسلمين²³.

إن هذه الرواية كُتبت بلغة أهل بلنسية وموجهة إليهم في وقت أحسوا فيه بالخطر من الوجود الدائم للسكان المسلمين القادرين على استخدام مسلمي غرناطة ضدهم، وكذلك تعرض شواطئ هذه المدينة لهجمات القراصنة المسلمين، ولذلك استخدم الكاتب المسلمين كأعداء في الرواية لرفع معنويات أهل بلاده.

لقد كان الإسلام شخصية في رواية "تيرانت لو بلانك" ولا يمكن أن يكون دون ذلك، طالما أن بطل الرواية هو فارس، وحسب رامون لول²⁴، إن مهمة الفارس هي الدفاع عن الكنيسة المقدسة ورفع سلاحه في وجه الأعداء، وقد شرح مرتوريل هذا في الفصلين 33 و34.

²³ Francisco Franco Sánchez: «Tirant i l'islam. L'islam com a variable d'anàlisi de l'obra», *Aniversari sobre Tirant lo Blanc*, València, ed. Institució Alfons el Magnànim, 2011, (en prensa).

²⁴ رامون لول (1315-1232) (Ramon Llull) هو فيلسوف كتالوني، من أسرة ميسورة الحال. ولع بالشعر، ثم انضم إلى رهبنة الفرنسيسكان. انكب على دراسة اللغة العربية والثقافة الإسلامية، قاصداً دعوة المسلمين إلى المسيحية. سافر من أجل ذلك إلى شمال إفريقيا أكثر من مرة، ولقي حتفه هناك. حاصر في باريس، ومرومونيبييه ومايورقا. حاول في مؤلفاته، وخاصة «الفن الأكبر»، أن يدافع عن المسيحية ضد الإسلام وضد فلسفة ابن رشد. كان ذا نزعة صوفية عميقة، وله منهج رمزي دقيق.

مجلة أنثروبولوجية الأديان العدد الواحد والعشرون 21 أبريل 2018

في العالم الاسباني وفي القرن الخامس عشر كان الأعداء هم المسلمون، ولهذا السبب فإن جوانوت مارتوريل حوّل قصة "جوي أف وريك" "Guy of Warwick" والتي هاجم فيها الدنماركيون إنجلترا في مطلع القرون الوسطى لمسلمين "من جزر الكناري". هؤلاء الوثئون الدنمركيون والنورمانديون أو الفايكنج قد تم نسيانهم بعد هجماتهم الشرسة وحوّلهم لمسلمين.

لقد وقعت خلال قرون طويلة مواجهات بين المسلمين والمسيحيين في أوروبا ولكن في القرن الخامس عشر وفي عام 1453، استطاع المسلمون الأتراك الاستيلاء على أهم كنيسة مسيحية في الشرق وقد ذكرنا من قبل أن مهمة الفارس في رأي الكاتب هي الدفاع عن الكنيسة، وبعد أن وقعت كاتدرائية القسطنطينية في أيدي الأتراك المسلمين، حاول مارتوريل إعادة كتابة التاريخ بطريقة عكسية لكي ينتصر على المسلمين خيالاً ويستعيد منهم كاتدرائية القسطنطينية التي كانت رمزاً للمسيحية في أوروبا.

1.5. معرفة الكاتب بالمسلمين

تعكس رواية تيرانت لو بلانك باختصار كثيراً من أسماء المسلمين من شرق البحر المتوسط أو على الأقل الجزء المعروف في القرن الخامس عشر، كان الكاتب يعيش في بلنسية وهناك تلقى معلومات موثقة وخصوصاً من تجار تاج أراجون الذين كانت لهم علاقات تجارية مع الشرق. ومن ثم فإننا نعلم بأن الرحالة "جومي دي بيلاراجوت" كان صديقاً شخصياً لجوان مارتوريل²⁵ وكان هذا الرحالة أسيراً لكارامان أو أمير مملكة توركومان (الكارامان) والتي أعطى الكاتب اسمها إلى شخصية الكاراماني العظيم في الرواية. وبذلك وعلى الرغم من الدور البارز للعثمانيين الأتراك، غزا القسطنطينية في الرواية، فقد أوضح جوانوت مارتوريل بأنه

²⁵ Martí de Riquer, Aproximació al "Tirant lo Blanc", Barcelona: Quaderns Crema, 1990, p. 127.

مجلة أنثروبولوجية الأديان العدد الواحد والعشرون 21 أبريل 2018

مطلع على الأسرة المملوكية في مصر وسوريا بموجب العلاقات التجارية والعسكرية لتاج أراجون. وبالتالي فإنه يشير إليهم في (الفصل 99) باسم "المماليك"، ويشير إلى حقيقة أنهم كانوا أطفالاً أسرى يتعلمون الفنون العسكرية وينشأون على التربية الإسلامية في (الفصل 107) وربما كانت تلك أكبر معرفة تعتمد على التوافق بين الفرسان في طرفي البحر المتوسط، طالما أن المماليك كانوا مغربين بنظم الفروسية القديمة وأسلحتها الحديثة وكذلك الترجمات العربية التي كانت تتحدث عن الفروسية²⁶. ولكي يصف تلك الشخصيات الإسلامية في الرواية بأسماء شرقية على الرغم من أنه لم يسافر إلى الشرق، فقد استخدم معلومات مستقاة من أولئك المسلمين الذين عرفهم تماماً عن قرب: باسم المدجنين أو الرعايا المسلمين تحت حكم تاج أراجون الذين سكنوا مملكة بلنسية بأعداد كبيرة.

لقد عرف مارتوريل المسلمين بشكل كافٍ ولم يرتكب أية أخطاء كبيرة في التوصيف الأدبي إلا في افتراض أن حياة المسلمين البلنسيين كانت هي نفس حياة أشقائهم الشرقيين. وهكذا، فمثلاً، كان مارتوريل يعلم بأن المسلمين يقومون بصلاتهم الشعائرية في يوم الجمعة (فصل 163) عندما قال أحد الأتراك: "لقد رأيت من خمس عشرة يوماً بعد صلاة الجمعة ابنة كراماني الكبير كانت ترتدي جبة مطرزة بالأحجار الكريمة والتي يقال أنها تساوى مدينة كبيرة". وكذلك أن النساء المسلمات يتلقين مهورهن من المجوهرات مورد يمثل ضماناً بأنهن لا يرفضن أو يتركن، (فصل 163).

وكان يعلم أيضاً بأن المسلمين يقسمون وهم يتجهون ناحية الجنوب (القبلة) في اتجاه مكة (فصل 328) عندما قال تيرانت: "سيدي أولاً وقبل أي شيء أريد منك أن تتعهد لنا

²⁶ M^a Jesus Rubiera Mata, "El món cavalleresc àrabi el món cavalleresc del *Tirant*", *Afers* 10, 1990, p. 267.

مجلة أنثروبولوجية الأديان العدد الواحد والعشرون 21 أبريل 2018

باعتبارك من المسلمين وتتجه ناحية القبلة (الكعبة) ثم بعد أن يتم تعميدك تقسم مرة ثانية باعتبارك مسيحياً".

كان مارتوريل يعلم أن المدجنين يتناولون الكُسْكُس (الكُسْكُسي) وهو طعام من السميد المطهو بالبخار مع الخضروات ولحم الضأن، وأصل هذا الطعام من شمال أفريقيا، وكان معروفاً في الأندلس من القرن الثالث عشر وكان يدرج على قائمة الطعام الذي يقدمه تيرانت لسفراء سلطان بابل بدون أن يعلم أن هذا الطعام مازال غير معروف للعرب في الشرق عندما قال المؤلف في (فصل 137) " ودعا السفراء بالجلوس على واحدة من تلك الموائد والأسرى المحررين أجلسهم على مائدة أخرى على اليسار. أما كل الدوقات وكبار السادة فجلسوا على اليمين. وقُدّم لهم جميعاً الدجاج والديوك والأرز والكُسْكُسي والخمور الممتازة وكثير من أطيب الطعام، وبعد ذلك تم تقديم الحلوى والنبيد الحلو. وقد سعد السفراء بالطعام الفاخر والمناسبة التي أعدها تيرانت لأعيانه ولهم".

2.5. أخطاء تتعلق بمعتقدات وعادات المسلمين

ظهرت في الرواية أخطاء عديدة تتعلق بمعتقدات وعادات المسلمين. ومن بين أخطر تلك الأخطاء هو الارتباك في اعتبار نبي الإسلام "محمد عليه الصلوة والسلام" بأنه إله المسلمين كما ذكر في (فصل 301): "ولكني أرجوك ألا تُخفي علي اسمك، فإنني أقسمُ بسيدنا محمد، إلهي!!²⁷ إنني سأعاملك كما أعاملُ ابني". ولكن لم يكن هذا بمعزل عن سلسلة أخطاء في فصول أخرى، فإن نبي الإسلام قد حققت له الصفات الإلهية مثل التقدير أو القوي أو القادر على أن يغفر الخطايا كما لو أنه الله. نجد في (فصل 302) ابن قائد يقول لأبيه " وبمساعدة نبينا محمد والذي أدعوه أن يهني الحكمة لأتجنب الفضيحة". وفي

²⁷ ترجمة حرفية.

مجلة أنثروبولوجية الأديان العدد الواحد والعشرون 21 أبريل 2018

(فصل 307) يقول ملك تلمسان في رده على تيرانت " أقول لك بأني أمقتُ اسم الملك سكاريانو وأتمنى الموت عند سماعه. آه! يا سيدنا محمد! لماذا نزعْتَ مني قداسك كل الرجاء؟" هنا يصف النبي محمد بأنه يمكن أن يعطي وينزع عن الإنسان أشياء، مع العلم بأن الله سبحانه وتعالى هو من يعطي وينزع من الإنسان ما يشاء، وكذلك استعمال الكاتب هنا كلمة "قداسة" بالنسبة للرسول محمد عليه الصلاة والسلام ويمكن أن نعتبر هذا جهلاً من الكاتب بالإسلام. في نفس الفصل نجد ملك تلمسان يتوقف عن الكلام وقد خفضتُ الأميرةُ عينها شفقةً عليه وقالت: " تتمنى أن يستقبل روحك سيدنا محمد؟" هنا أعطى الكاتب للرسول صفة الرب الذي يستقبل روح البشر. وفي (فصل 345) كان ملك تونس جريحاً وتحركت في تيرانت مشاعر الشفقة والرحمة، فطلب من الأطباء معالجة جراحه، فقال الملك: "" دعني هذه الليلة على ما أنا فيه حالياً، وسوف أنظر في الموضوع غداً إن كنت أستطيع أن أقاوم هذا الغضب، سوف أقرر إن كنتُ منتصراً أم مقهوراً. فإن كنتُ منتصراً فسوف أعالج نفسي ولن أمضي إلى الجحيم، حيث يكون محمداً!! نفسه فيها، فلم يستطع أن يساعدنا على قتال المسيحيين". هنا يعاتب الملك الرسول لأنه لم يساعدهم، فأعطى الرسول صفة الله الذي يساعد من يريد. أو عندما يقول الفارس المسلم في حضور تيرانت (فصل 347) " آه يا رسول الله محمد، يا حامي حريتنا وأشفق علينا حتى لا يسيء معاملتنا المسيحيون!". وفي (فصل 349) يقول الكاتب "وفي اليوم التالي كان الكشافة المسيحية يتفحصون ميدان المعركة فاكتشفوا سقوط نحو خمسة وثلاثين ألفاً واثنتين وسبعين معظمهم من القتلى وكثيراً من المسيحيين الذي لم يموتوا قبل اعترافهم وذهبوا بأرواحهم إلى الرب يسوع المسيح وكذلك قدّم المسلمون أرواحهم إلى محمد." في نفس الفصل "أرسل الملوك الهاريين الرسل إلى تيرانت يحدّثونه بأن يقوم بتقديم تعويضات عن المسلمين الذين تم قتلهم والمعدات التي سُلبت لأن هذه الأعمال ارتُكبت أثناء السلام وفترة الهدنة من القتال والتي يجب أن تستمر لمدة ثلاثين يوماً. فإن رفض تقديم هذه التعويضات فإنهم سوف يشتكون إلى محمد."

مجلة أنثروبولوجية الأديان العدد الواحد والعشرون 21 أبريل 2018

إن المسلمين يشكون أمرهم إلى الله. في (فصل 386) أجاب الملك مينادور ملك الفرس نيابة عن الجميع قائلاً: "أيُّها الفارس لا تظن أن خسارتنا الكبيرة من البلاد والرجال قد أضعفت عزماً أو نالت من قوتنا، لأننا نؤمن يقيناً بالقوة الجبارة لنبينا محمد والتي سوف تهب لنجدتنا وستنقذنا. وإذا كانت مساعدته غائبة علينا، فإن حاجتنا إليها ملحة ولسوف يكشف عن كرامته ورحمته بنا". وفي نفس الفصل نجد الملك مينادور يقول: "سنفعل كل ما في استطاعتنا بمساعدة نبينا محمد وسوف نعاقبهم على ما اقترفوه من جرائم وشرور".

ومثل تلك الأخطاء اللاهوتية نجد أيضاً أخطاءً فادحةً متعلقة بسلوك المسلمين. وهكذا فإننا نجد المؤلف يعتقد بأنهم يستفيدون من الصور عندما وصف الملك مينادور "مندور" بأنه كان يضع حول رقبته سلسلةً من الذهب عليها صورة "محمد". (فصل 334) "فأسلحته ومعاطفه من الحرير الدمشقي الأخضر مطرزاً بنجوم ثلاث على جانبيه وفي طرف واحد خيوط من الذهب والفضة، ويضع حول رقبته سلسلةً من الذهب عليها صورة "محمد" صورة محمد ذي لحية كبيرة ويحمل طفلاً صغيراً يعانقه ويتعلق برقبته وهو يعبر النهر. وأعتقد بأن هذا الطفل هو ابنه ولهذا فإن محمد يساعد هذا القائد في المعركة "الكاتب شبه رسول المسلمين محمد عليه الصلاة والسلام بالمسيحيين وسمى رسول هذا الرجل المسيحي بمحمد بدلاً من أن يقول رسوله. وهنا نجد قلة معرفة الكاتب بالإسلام لأن المسلمين لا يحملون صورة الرسول عليه الصلاة والسلام، وأن محمداً لا يساعد أحداً إنما المساعد هو الله.

و في (فصل 344) يصف الكاتب ملك تونس بأنه كان يرتدي قلادةً ذهبية بها صورة للرسول محمد عليه الصلاة والسلام "واستمر القتال حتى الساعة الثانية بعد الظهر ولم يستطع أيٌّ من الجانبين أن يجزم من هو المتقدم في القتال. كان ملك تونس يرتدي قلادةً ذهبية وصورة لمحمد من الذهب على درعه واستطاع أن يتعرف على تيرانت من صدرته المرسوم عليها نجوم."

مجلة أنثروبولوجية الأويان العرو والواحد والعشرون 21 أبريل 2018

في (فصل 150) نجد بن عمرو ملك مصر يقول: " وأنا أيضاً واقع في حب سيدة، وقد تعهدتُ أمامها في منزل نبينا محمد حيث يرقد جسده الطاهر، في مكة" من المعروف إن جسد الرسول عليه الصلاة والسلام يرقد في المدينة المنورة وليس في مكة المكرمة.

3.5. اختلاف في وصف المسلمين

لقد وجدنا أن هناك اختلافاً بالنسبة لوصف المسلمين من الفصول الأولى حتى الفصل 300 ومن الفصل 300 حتى الفصل 350. في الفصول الأولى أظهر مارتوريل معرفة نسبية بالإسلام لكن هذه المعرفة اختفت بعد الفصل 300 يمكن أن يحملنا هذا إلى الافتراض إلى أن جونيت مارتوريل قد فقد ذاكرته ونسي ما كان يعرفه عن المسلمين في الفصول الأولى أو أن هناك على الأقل مؤلف آخر وكما هو معلوم من الصفحة الافتتاحية من الكتاب:

" السيد جوانت مارتوريل، والذي توفي وكان قد قام بترجمة ثلاثة أجزاء. والجزء الرابع وهو نهاية الكتاب قد ترجمه مارتري جوان دي جالبا."

هناك مناقشات وإشكاليات كثيرة بين الباحثين عن دور جوان دي جالبا في تنقيح هذا العمل وسوف نتعرض له عندما نتحدث عن مارتري جوان دي جالبا.

في الفصل 350 تظهر عناصر تصف المسلمين بدقة أكثر مما قبل وتبدأ هذه العناصر مع ظهور بلاثيرديميغيدا؛ عندما قامت هذه الفتاة بارتداء ملابس مثل المسلمين ورسمت عينيها بالكحل: " فارتدت بلاثيرديميغيدا ملابس امرأة شريفة من المسلمين ورسمت عينيها بالكحل حتى لا يمكن أن يتعرف عليها أحد، واختارت أفضل ملابس للفتيات اللواتي يصحبنها" (فصل 350).

مجلة أنثروبولوجية الأويان العدد الواحد والعشرون 21 أبريل 2018

وفي أعقاب ذلك استخدم الكاتب كلمة *aljamia*²⁸ التي ترجمناها بأعجمي وهي كلمة كانت تستعمل لتشير إلى اللغة الأسبانية ولغات رومانية أخرى يتحدث بها سكان شبه جزيرة أيبيريا- عندما قال الحاجب لتيранت " قسماً بديني يا سيدي، من بين هؤلاء السيدات المسلمات توجد سيدة رائعة الحسن والجمال وتتكلم الأعجمية فهي سيدة فصيحة وجميلة، وأرجو أن تسمح وتُسدي لي خدمة، عندما تستولي على المدينة لا بد أن تعمدها مسيحية وتقدمها زوجة لي" (الفصل 350).

ويظهر بعد ذلك الحجاب " أزاح تيранت حجابها وكشف شعرها واعتقد الجميع بأنه سيتخذها زوجة" (فصل 366).

يبدو الرسول محمد عليه الصلاة والسلام مرة أخرى باعتباره نبياً وليس إلهاً: "واسمح لي أن أوجز ما قد سرده من قيمك التي لا نخصيها وذلك لعطفك وكرمك إذ سمحت لي أن أرتقي إلى مكانتك البهية وأضمك إلى صدري وأتحدث عن كفاءتك التي لا يشق لها غبار والتي تعادل موضع نبينا محمد." (فصل 362) وبهذه المعلومات والخاصة بالمسلمين يظهر عنصر كان ناقصاً في الفصول التسعة والأربعين السابقة.

في الجزء السادس نجد أن تيранت تحول من فارس إلى مبشر مسيحي يحاول تعميد كل من يقف أمامه، بدأ بتعميد الملكة ماراجردينا ملكة تلمسان (الفصل 326): "عندما رأي تيранت رغبة الملكة الصادقة في أن تتحول إلى الديانة المسيحية، أرسل على الفور في طلب حوضٍ ذهبي وإبريق من الغنائم التي سلبوها من الملك سكاريانو. ثم طلب أن تخلع غطاء رأسها وتكشف عن شعرها البراق الرائع وبدا وجهها جميلاً ملائكياً وجعلها تركع ورشّ الماء

²⁸ الخميا هي لغة تكتب باللغة العربية وتتطق بلغة أخرى مثل الأسبانية. كانت تستعمل هذه اللغة بين المسلمين الأندلسيين الذين كانوا يتكلمون الأسبانية ويكتبون بالعربية.

مجلة أنثروبولوجية الأديان العدد الواحد والعشرون 21 أبريل 2018

من الإبريق على رأسها وهو يردد " ماراجدينا إني أعمدك باسم الأب والابن والروح القدس." وبعد ذلك قام بتعميد الملك سكاريانو. قال الملك في (الفصل 328): "بأنه سعيد ولا يرغب في شيء من هذه الدنيا سوى أن يصبح مسيحياً وتوصل إلى تيرانت أن يؤدي تلك الشعائر لتعميده على الفور. قال تيرانت " سيدي أولاً وقبل أي شيء أريد منك أن تتعهد لنا باعتبارك من المسلمين وتتجه ناحية القبلة (الكعبة) ثم بعد أن يتم تعميدك تقسم مرة ثانية باعتبارك مسيحياً."

وفي (الفصل 329) قال تيرانت: " ملك سكاريانو، إني أعمدك باسم الأب والابن والروح القدس. وبعد ذلك وفي نفس الفصل قام تيرانت بتعميد معظم الأسرى ومعظمهم كانوا من أقارب الملك. ثم قام بتعميد القادة الذين تلقوا التعميد مع كل أقاربهم. كانت إحدى العشائر تسمى عشيرة بني سراج²⁹ وعشيرة أخرى تسمى كابساني. في ذلك اليوم قام تيرانت بتعميد أكثر من ستة آلاف من المسلمين. والباقي تم تعميدهم في اليوم التالي والذي يليه حتى تم تعميد كل الرجال الذين تحولوا إلى المسيحية. أما أولئك الذين رفضوا التعميد فقد كانوا عدداً قليلاً من الناس. وعندما انتهى تيرانت من تعميد الملك سكاريانو وعشيرته، بدأ يدير أمور التعميد مرةً أخرى وكان هناك جمع غفير من المسلمين الذين أرادوا أن يتحولوا إلى المسيحية وكان تيرانت يواصل عمله في التعميد ليل نهار حتى وصل أخيراً راهبٌ من نظامٍ يسمى "نظام الرحمة" وكان قد وصل إلى مدينة تونس على قاربٍ تجاريٍّ ليدفع فدية الأسرى المسيحيين. وتولى هذا الراهب مهمة التعميد (الفصل 330). هكذا نرى التحول المفاجئ لتيرانت من فارس إلى راهب أو قسيس أو مبشر مسيحي.

²⁹ بنو سراج عائلة غرناطية يروى عنها أنها نالت منصباً مهماً في دولة بنى الأحمر في القرن الخامس عشر. في قصر الحمراء توجد صالة تسمى صالة بنو سراج.

مجلة أنثروبولوجية الأديان العدد الواحد والعشرون 21 أبريل 2018

في الإهداء استخلص مارتوريل أعمال بطله عندما قال: " تيرانت لو بلانك، فهو الذي غزا بقواته الممالك العديدة والبلاد وأهداها لفرسان آخرين. ثم انتصر للإمبراطورية اليونانية واستعادها من الأتراك الذين استعبدوا اليونانيين المسيحيين." وهنا لم يقل شيئاً عن التحول الجماعي للمسلمين إلى المسيحية والذي تم استقراؤه من الفصول (326: 349) ولكن ما أن تم تحريفها، فقد تم تشكيلها في منهج الفارس عندما قال " تيرانت لو بلانك، الذي استطاع بحكمته وحصافته وفروسيته وشجاعته أن يغزو كثيراً من الممالك ورد كثيراً من البشر في بلاد البربر واليونان إلى الدين الكاثوليكي المقدس" (فصل 466).

من وجهة النظر الأيديولوجية ، نجد أن هذا الاتجاه مختلف إذ يشوّه الفروسية المثالية، إذ أن رسالته ليست هي تحويل الوثنيين ولكن المثالية هي الدفاع المسلح عن المسيحية وكما فعل مارتوريل في تفسير لرامون لول .

في بعض فقرات الكتاب نلاحظ عدااء الكاتب للمسلمين عندما شبههم بالوثنيين، لقد استعمل هذه الكلمة في حالات كثيرة بدلاً من استعمال كلمة مسلمين، نعتقد أنه كان يحاول التقليل من قيمة المسلمين، ولذلك شبههم بالوثنيين الذين لا يؤمنون بوجود رب، إله أو الله. نجده يقول في (الفصل 106) "تسلق التل وعلم بأن كل الوثنيين قد مضوا إلى حال سبيلهم، يسارعون الخطوات إلى الشاطئ. راح يتفرس المكان حوله، ولاحظ نحو ثمانية عشر من المسلمين يتحركون على نفس الطريق كما سار أسلافهم". وفي (الفصل 101) يقول "والفضل يرجع إلى غلظة وقسوة أهل جنوة الذي نهبوا السعادة ولم يرحموا ولم يشفقوا على أتباعهم المسيحيين، أولم يكن الأولي لهم أن يكونوا مع الوثنيين (المسلمين)." أو عندما قال سيد رودس لتيرانت : "فأنت الوحيد الذي أعدت إلينا الحياة والحرية، لقد ضاع أملنا وإذا لم تأت في ذلك اليوم المبارك، فإنّ مدينتنا وديننا كان تحت رحمة الوثنيين" (فصل 107ب).

مجلة أنثروبولوجية الأديان العدد الواحد والعشرون 21 أبريل 2018

لقد حاول الكاتب الرجوع إلى الحروب الصليبية التي انتهت في أواخر القرن الثالث عشر عندما قال أن "ملك فرنسا طلب من البابا والإمبراطور وجميع أمراء الممالك المسيحية أن يهبوا لمساعدته، فقد قرر الزحف على الوثنيين (المسلمين) وقتلهم وقد تلقى المساعدة من كل الذين طلب منهم ذلك" (فصل 109).

في النهاية يجب أن نذكر ونقول إن رواية تيرانت لو بلانك على الرغم من أننا نجد بها بعض الفقرات المعادية للإسلام ومسلمي القرن الخامس عشر إلا أنها تنتقل على شواطئ المتوسط من قبرص إلى تونس ومن إيطاليا إلى مصر ومن الجزائر إلى تركيا واليونان. وهناك إنجلترا وفرنسا. إنها عمل فذ يمكن أن يفتح الأبواب للحوار بين الحضارات.